

الرسالة الرعوية ٢٠٢١



قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَادْهَبْ

(متى ٢: ١٩)

المطران بول هندير الكبوشي

قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَادْهَبْ

(متى ٢: ١٩)

الرَّسَالَةُ الرَّعَوِيَّةُ ٢٠٢١

لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي التِّيَابَةِ الرَّسُولِيَّةِ لِشِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بِمُنَاسَبَةِ سَنَةِ الْقَدِيسِ يُوسُفَ،

وَسَنَةِ "فَرَحِ الْحُبِّ فِي الْعَائِلَةِ" "Amoris Laetitia Family"

المطران بول هِنْدِر الكَبُوشِي

المحتويات

- يوسف، شفيع الكنيسة وحميها
يوسف، المتواضع والملتمس بإرادة الله
يوسف، رمز العلاقة الخاصة
يوسف، رب العائلة المقدسة
تماماً كيوسف، تقبلوا الصعوبات والبساطة
يوسف، رجل الصلاة والصمت
يوسف، نموذج العمال المهاجرين
على مثال يوسف، تعلم قبول الظروف الغير متوقعة
على مثال يوسف، نحافظ على الكنوز الروحية، المعطاة لنا
يوسف، حامي الحياة
يوسف، شفيع المبتة الصالحة
أذهبوا إلى يوسف!

إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي فِي الْمَسِيحِ!

١. في الثامن من كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٠، أصدرَ قَدَّاسَةُ البابا فرنسيس إرشاده الرُّسُولِيَّ بِعُنوان "بِقَلْبِ آبَوِيَّ" (Patris Corde)، مُعلِّناً ابتداءً "سَنَةِ القَدِّيسِ يوسُفَ" ومُرور ١٥٠ سَنَةِ لإِعْلانِ القَدِّيسِ يوسُفَ شَفِيعًا لِلكَنِيسَةِ الجَامِعَةِ. خِلالِ الاحتِفَالِ بِعيدِ القَدِّيسِ يوسُفَ، في التاسعِ عَشَرَ مِن آذار/ مارس الحالي، سَوْفَ يَقُومُ قَدَّاسَةُ البابا أَيْضًا بِإِفْتِتاحِ سَنَةِ "فَرَحِ الحُبِّ فِي العائِلَةِ" "Amoris Laetitia Family"، وَالَّتِي سَتَحْتَمُّ فِي السَّادِسِ والعَشْرِينَ مِن شَهْرِ حَزيان/ يونيو ٢٠٢٢، مَوعِدِ المُوْتَمَرِ العائِشِ للعائِلاتِ فِي رُوما. والجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ البابا فرنسيس يُبشِرُ دائِمًا إلى الأَجْدادِ والجَدَّاتِ كَجِزءٍ أَساسِيٍّ مِن تَكْوِينِ العائِلَةِ، وبِالتالي، حَدَدَ يَوْمَ الأَحَدِ الرابعِ مِن شَهْرِ تموز/ يوليو (والقَرِيبِ مِن عِيدِ جَدِّي الإِلَه، يواكِم وَحَتَّة)، يَوْمًا عالِمِيًّا لِلأَجْدادِ والمُسَيِّين. لا أُرِيدُ أَنْ أُرَدِّدَ ما قالَهُ الأبُّ الأَقْدَسُ، وما كَتَبَهُ، وما قَد تَجَدُّونَهُ بِسُهولَةٍ على مَوقِعِ الفاتِيكانِ الالِكْترُونِي. بَلْ أُرِيدُ فِي هَذِهِ الرِّسالَةِ أَنْ أُسَلِّطَ الصُّوَّةَ على أَوْضاعِنَا العائِلِيَّةِ فِي شِبهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، مِن خِلالِ ما تَعْنِيهِ لَنَا "سَنَةُ القَدِّيسِ يوسُفَ" و"سَنَةُ العائِلَةِ"، وَمِن خِلالِ مُعاناتِنَا مِن جِراءِ الجائِحَةِ الرَّهيبَةِ، الَّتِي طالَ أَمْدُها أَكْثَرَ مِمَّا كُنَّا نَتَوَقَّعُ.

٢. لا أَرَعْبُ بِتَعْدَادِ جَمِيعِ المَشَاكِلِ، الَّتِي تُرْخِي بِثِقَلِهَا عَلَى كَاهِلِنَا، كَعَائِلَاتٍ وَأَفْرَادٍ. نَحْنُ نُدْرِكُ تَمَامًا مُعَانَاةَ النَّاسِ وَقَلَقَهُمْ عَلَى المَسْتَقْبَلِ، فِي خِصْمِ التَّغْيِيرَاتِ المُنْسَارِعَةِ لِهَذَا العَالَمِ. فَالْبَعْضُ يَتَسَاءَلُ قَلِقًا: هَلْ أَسْتَطِيعُ الِاحْتِفَاطَ بِعَمَلِي؟ هَلْ سَأَتَمَكِّنُ مِنَ الِاسْتِمْرَارِ فِي تَسَدِيدِ إِجَارِ شَقَّتِي؟ هَلْ سَتَبْقَى مَعًا كَعَائِلَةٍ، أَوْ سَوْفَ تُزْعِمُنَا الطُّرُوفُ القَاسِيَةُ عَلَى الِافْتِرَاقِ أَوْ الِانْتِقَالِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ؟ مَاذَا سَيَكُونُ مَصِيرُ أَبْنَائِنَا وَمُسْتَقْبَلُهُمْ؟ مَاذَا عَنِ تَعْلِيمِهِمُ الأكَادِمِيِّ وَالدِّينِيِّ؟ هَلْ سَيَسْتَمِرُّونَ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ المَسِيحِ وَبِمُحَاسِنَةِ إِيمَانِهِمْ فِي الكَنِيسَةِ الكَاتُولِيكِيَّةِ، الَّتِي تَمُرُّ هِيَ أَيْضًا بِأَوْضَاعٍ وَطُرُوفٍ صَعْبَةٍ، وَالأَمْوَاجِ العَائِيَّةِ تَأْطُلُهَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ؟ فَفِي ظِلِّ هَذِهِ الأَزْمَاتِ القَاسِيَةِ، سَوْفَ يَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى الكَثِيرِينَ أَنْ يَثْبُتُوا فِي إِيمَانِهِمْ وَأَنْ يَصْعُقُوا ثِقَتِهِمْ فِي الرَّبِّ القَدِيرِ. بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ أَنفُسَنَا هَلْ حَقًّا يُوجَدُ بِدِيلٍ عَمَّنْ عَلَّمْنَا، قَائِلًا: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالحَقُّ وَالحَيَاةُ" (يوحنا ١٤: ٦)؟ فِي صَوءٍ مَا تَقَدَّمَ، اسْمَحُوا لِي أَنْ أُحَاطِبَكُمُ "بِقَلْبِ أبُوِّي"، تَمَامًا كَعُنْوَانِ الإِرْشَادِ الرَّسُولِيِّ لِلْبَابَا فَرَنْسِيْسِ.

يوسُفُ، شَفِيعُ الكَنِيسَةِ وَحَامِيهَا

٣. لَقَدْ أَعْلَنَ البَابَا يِوَسُ التَّاسِعُ، القَدِيسُ يوسُفُ شَفِيعًا لِلكَنِيسَةِ الجَامِعَةِ، وَذَلِكَ مُنْذُ ١٥٠ سَنَةٍ. كَانَتِ الكَنِيسَةُ حِينَهَا تَمُرُّ بِطُرُوفٍ صَعْبَةٍ، وَتُحَاصِرُهَا التَّيْرَانُ مِنَ الدَّخْلِ وَالخَارِجِ. فَالثُّورَةُ القَرْنِيسِيَّةُ وَالحَرَكَاتُ

المستديرة، قَلَصَتْ كَثِيرًا مِنَ التُّفُؤِ الْعَالَمِيِّ لِلْكَنِيسَةِ (الَّذِي انْحَصَرَ فِي
الْوِلَايَاتِ الْبَابَوِيَّةِ فِي إِيطَالِيَا)، وَأَدَّى إِلَى تَزَايُدِ الْمَطَالَبَةِ بِتَدْمِيرِهَا وَالتَّخْلُصِ
نَهَائِيًّا مِنْ سُلْطَتِهَا. أَمَّا مِنَ الدَّخْلِ، فَقَدْ اخْتَدَمَ الصَّرَاعُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ: الْأَوَّلُ
يَسْعَى لِاسْتِرْدَادِ التُّفُؤِ الْكَنْسِيِّ الْقَدِيمِ، وَالثَّانِي يَسْعَى لِلنَّسْوِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ
والتَّفَاعُلِ الْإِيجَابِيِّ مَعَ الْقَضَايَا الْعَالَمِيَّةِ. وَقَدْ أَدَّى انْهِيَارُ السُّلْطَةِ الرَّمَنِيَّةِ
لِلْكَنِيسَةِ، فِي الْوِلَايَاتِ الْبَابَوِيَّةِ، إِلَى التَّرْكِيزِ عَلَى تَفْعِيلِ دَوْرِهَا الرُّوْحِيِّ،
وَالِى الْمَبَاشَرَةِ فِي عَمَلِيَّاتِ تَجْدِيدِ تَقَالِيدِهَا وَأَوْلِيَايَاتِهَا. إِلَّا أَنَّ الْحَوَارِ الْعَسِيرِ
بَيْنَ الْفَلَاسِفَةِ الْمَعَاصِرِينَ، مِنْ جِهَةِ، وَالْإِيمَانِ الْكَاثُولِيكِيِّ، مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، مَا
زَالَ مُسْتَمِرًّا إِلَى أَيَّامِنَا هَذِهِ.

فَعَحْنُ لَا تَزَالُ نُحُوضُ غِمَارَ الْمِيَاهِ الْعَائِيَّةِ، وَالتِّي قَدْ تَجَرَّفْنَا بَعِيدًا، بِسَبَبِ
إِيمَانِنَا الْمُتَأَرِّجِ. فَكَثِيرُونَ يَشْكُونَ مَا إِذَا كَانَ يَسُوعُ مَا يَزَالُ مَعَنَا فِي
الْقَارِبِ الْمُتَهَالِكِ، مُنْتَظَرًا، بِصَبْرٍ وَأَنَاةٍ، لِيَأْمُرَ الْعَاصِفَةَ بِالسُّكُونِ. مَعَ
ذَلِكَ، هُوَ مَعَنَا دَائِمًا، وَسَوْفَ يَقُولُ الْكَلِمَاتِ ذَاتَهَا، لِي وَلَكَ، وَالتِّي قَالَهَا
قَبْلًا لِتَلَامِيذِهِ: "لِإِذَا أَنْتُمْ حَائِفُونَ هَكَذَا؟ كَيْفَ لَا إِيمَانٌ لَكُمْ؟" (مرقس ٤:
٤٠).

٤. نَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَّسِ كَيْفَ أَنَّ يَوْسُفَ قَدْ وَاجَهَ أَحْبَابًا فَاضِحَةً
وَمُشَكِّكَةً عَنِ حَطْبِيَّتِهِ مَرْجَمٍ، وَالتِّي كَانَتْ حَائِلًا. فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْتَفِظَ
بِنَبْتِهِ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْحَرْجَةِ، وَالتِّي هَدَدَتْ اسْتِمْرَارَ عِلَاقَتِهَا. لَقَدْ

امْتَثَلَ لِإِرَادَةِ الرَّبِّ وَأَمَّنَ بِالْوَعْدِ الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ الْمَلَائِكَةُ. نَحْنُ أَيْضًا مَا نَزَلْنَا
 نُوَاجِهُهُ مَوَاقِفَ مُخْرِجَةً وَصَدَمَاتٍ قَدْ لَا نَعْرِفُ كَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهَا.
 فَالْفَضَائِحُ وَالْجَرَائِمُ الَّتِي ارْتَكَبَهَا أَعْضَاءُ مِنَ الْكَنِيسَةِ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَشْخَاصٌ
 مَرْمُوفُونَ، قَدْ جَعَلَتْ تَقْتِنًا تَهْتَرُ فِعْلًا، وَاعْتَبَرَ الْبَعْضُ أَنَّ الْكَنِيسَةَ تَمُرُّ
 بِأَوْقَاتٍ صَعْبَةٍ. بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، دَعَوْنَا نَنْشَبُهُ بِالْقِدِّيسِ يَوْسُفَ وَنَضَعُ
 مِلءَ تَقْتِنَا بِكَلَامِ الرَّبِّ، مُؤْمِنِينَ بِوَعْدِ الْمَسِيحِ بِأَنَّ "أَبْوَابَ الْجَحِيمِ لَنْ
 تَقْوَى عَلَيْهَا" (متى ١٦: ١٨).

٥. دَعَوْنَا نَتَذَكَّرُ دَوْرَ الْقِدِّيسِ يَوْسُفَ، بَعْدَ زِيَارَةِ الْمَجُوسِ. لَقَدْ
 أُرْغِمَتِ الْعَائِلَةُ الْمَقْدَسَةُ عَلَى الْفِرَارِ إِلَى مِصْرَ، هَرَبًا مِنْ مَجَازِرِ الْمَلِكِ
 هِيرُودُسَ، وَلَمْ تَتِمَكَّنْ مِنَ الْعُودَةِ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ. نَرَى أَنَّ حَيَاةَ يَسُوعَ هِيَ
 انْعِكَاسٌ لِقِصَّةِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي عَانَى مِنَ الْعُبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَرَجَعَ
 بَعْدَهَا إِلَى أَرْضِ الْمِيعَادِ. كَمَا أَنَّهَا أَيْضًا إِشَارَةٌ لِقِصَّةِ الْكَنِيسَةِ، الَّتِي تَجُوبُ
 الْعَالَمَ، حَامِلَةً الْبِشَارَةَ، لِتَتَّصِلَ بَعْدَهَا إِلَى أَرْضِ الْمِيعَادِ فِي الْمَلَكُوتِ
 السَّمَاوِيِّ. فَيُوسُفُ هُوَ مُرْشِدُ الْعَائِلَةِ الْمَقْدَسَةِ الْأَمِينِ، وَهُوَ أَيْضًا يُرْشِدُ
 عَائِلَةَ الْكَنِيسَةِ فِي رِحْلَتِهَا هَذِهِ. فَكَمَا كَانَ فِي التَّاصِرَةِ الْحَارِسَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى
 يَسُوعَ وَمَرْيَمَ، فَهُوَ كَذَلِكَ الْقِدِّيسُ الْمُدَافِعُ عَنِ الْكَنِيسَةِ الْجَامِعَةِ وَعَنِ
 كَنِيسَتِنَا الْحَيَّاتِيَّةِ.

يوسف، المتواضع والمتزم بإرادة الله

٦. في كاتدرائية أبو ظبي، المكرسة للقديس يوسف، نجد لوحة فسيّساء رائعة للقديس يوسف والصبي يسوع. للوهلة الأولى، يبدو لنا أنّ يوسف يُرشد يسوع ويقوده، إلا أنّه، إذا أمعنا النظر فيها، نرى أنّ الصبي يسوع هو من يأخذ يوسف، ممسكاً بيده. وهذا ما يوضح لنا حقيقة العلاقة، ليس فقط ضمن العائلة المقدّسة، بل في عائلاتنا، وفي الكنيسة الكاثوليكية برمتها. فبالرغم من أنّ مريم ويوسف قد تولّيا تربيّة وإرشاد ابنهما، إلا أنّ الابن هو من قام، في النهاية، بدور القائد والمرشد الفعليّ لمريم ويوسف. نرى في الإنجيل أنّه، في مرّات عدّة، وجدّ والدا يسوع صعوبةً يفهمه، حتّى أنّ العائلة قد حاولت إعادة هذا الابن، الذي يتصرّف بطريقة غير عاديّة، إلى رشده. نذكر مثلاً عندما خاف عليه أفراد عائلته أثناء قيامه برساليته الخلاصيّة، كما ورد في الكتاب المقدّس: "ولمّا سمع أقرباؤه، خرجوا ليُمسكوه لأنّهم قالوا أنّه مُحتلّ" (مرقس ٣: ٢١). من الممكن أن يكون يوسف قد توفّي حينها، إلا أنّ الأحداث تُظهِر لنا يوضوح أنّ يسوع لم يلتزم بتقاليد العائلة، بل بشريعة الرّب، مجازفاً بقطع علاقته بأهله. فبالنسبة ليسوع، العلاقة العائليّة الحقيقيّة ليست من خلال رابطة الدّم، بل بالإدعان لإرادة الله (مرقس ٣: ٣٥).

٧. أَسْأَلُ، أحيانًا، ما إذا كانت بَعْضُ الصُّعُوباتِ، الَّتِي نُواجِهُهَا ضَمَنَ عَائِلَاتِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا، نَاجِمَةٌ عَنِ تَعَلُّقِنَا بِرَابِطَةِ الدِّمِ أَكْثَرَ مِنْ اهْتِمَامِنَا بِالنَّاحِيَةِ الرُّوحِيَّةِ لِلْعَلاَقَاتِ. فَشَرَفُ الْعَائِلَةِ وَالانْتِئَاءُ إِلَى المَجْمُوعَاتِ الإِثْنِيَّةِ وَالْأَنْسِبَاءِ، تُعْتَبَرُ أَكْثَرَ أَهْمِيَّةٍ مِنْ أَيْةِ عَلاَقَةِ نَاصِحَةٍ، مَبْنِيَّةٍ عَلَى إِرَادَةِ الرَّبِّ. مِنَ المَوْكَّدِ أَنَّ الْعَائِلَةَ وَالرُّوَابِطَ الاجْتِمَاعِيَّةَ هِيَ مُهَمَّةٌ، لَكِنْ لَهَا حُدُودُهَا. دَعَوْنَا نَنْظُرَ مُجَدِّدًا إِلَى فُسَيْفَسَاءِ كاتِدْرَائِيَّةِ أَبُو ظِي، حَيْثُ تَتَوَقَّعُ أَنَّ يَوْسُفَ هُوَ مَنْ يُرْشِدُ يَسُوعَ. فِي الحَقِيقَةِ، يَسُوعُ هُوَ مَنْ يُرْشِدُ عَائِلَاتِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا وَكَنائِسَنَا. فَفِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ، قَدْ يَظْهَرُ يَسُوعُ بَيْنَنَا مِنْ خِلالِ أَشْخَاصِ بُسْطَاءٍ وَأَطْفَالِ أُبْرِيَاءِ، يَبْدُونَ أَكْثَرَ مَعْرِفَةً مِنَّا بِالطَّرِيقِ الصَّحِيحِ. لِذَلِكَ، يَبْغِي لَنَا أَنْ نُضْعِي بِاهْتِمَامٍ إِلَى أَصْوَاتِ الأَطْفَالِ وَالشُّبَّانِ، وَإِلَى مَنْ لَا صَوْتٍ لَهُمْ، وَلَيْسَ فَقَطْ لِأَصْوَاتِ البَالِغِينَ وَأَصْحَابِ السُّلْطَانِ. فَالرَّبُّ غَالِبًا مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ خِلالِ الوُدْعَاءِ، تَمَامًا كَمَا قَالَ القِدِّيسُ بِنْدِيكْتوسُ فِي إِرشادِهِ الزَّهْبَانِيِّ، بِأَنَّ اللهَ يُوجِي بِأَفْكارِهِ إِلَى مَنْ هُمْ أَصْغَرُ سَيِّئًا.

يوسُفُ، رَمْزُ العَلاَقَةِ المُخْلِصَةِ

٨. لَقَدْ أَصْبَحَ مألُوفًا، فِي هَذِهِ المَنْطِقَةِ مِنَ العَالَمِ، أَنَّ نَجْدَ نِسْبَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ العَازِبِينَ. فَالبَعْضُ هُوَ غَيْرُ مُتَزَوِّجٍ أَصْلًا، وَالبَعْضُ الآخَرُ يقيمُ وَحيدًا، تَارِكًا زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ فِي وَطَنِه الأُمَّ بِسَبَبِ الطُّرُوفِ الاِقْتِصَادِيَّةِ. فَصُعُوباتُ العَمَلِ وَالوَحْدَةُ القَاسِيَّةُ، تُشَكِّلُ، جَمِيعُهَا، حَمَلًا ثَقِيلًا

للكثيرين، وتَدْفَعُ البَغْضَ إلى إفاة عَلاَقَاتِ مُوقَّتَةٍ، أو إلى الادمان، بهَدَفِ التَّرْفِيهِ والتَّخْفِيفِ مِنْ وَطْأَةِ المعاناة. لَقَدْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى يوسُفَ أَنْ يُطَلِّقَ مَرْيَمَ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْعَى لِكَلَامِ الرَّبِّ وَبَقِيَ وَفِيًا لِامْرَأَتِهِ. فِي حَيَاةِ يوسُفَ، نَرَى أَنَّ الحُبَّ الحَقِيقِيَّ لَيْسَ مَبْنِيًا عَلَى العَلاَقَاتِ الجَسَدِيَّةِ أو عَلَى تَلْبِيَةِ الرِّعَابِ الحَاصَّةِ، بَلْ كَانَتْ "المَحَبَّةُ تَحْمِي دَائِمًا، وَتُصَدِّقُ دَائِمًا، وَتَرْجُو دَائِمًا، وَتَحْتَمِلُ دَائِمًا" (١ قور ١٣: ٧). فَتَحْنُ نَحْدُ فِي عَلاَقَةِ يوسُفَ وَمَرْيَمَ المِثَالَ الصَّالِحَ لِلعَلاَقَةِ المِسيحِيَّةِ، المَبْنِيَّةِ عَلَى الاحْتِرَامِ المِتْبَادِلِ وَكِرَامَةِ الانسان، وَعَلَى العَمَلِ وَالتَّضْحِيَّةِ مِنْ أَجْلِ الآخَرِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى عِبَادَةِ الرَّبِّ وَالإِمْتِثَالِ لِإِرَادَتِهِ، لَقَدْ كَانَ يَسُوعُ المِسيحُ مَحْوَرَ حَيَاتِهَا وَعَلاَقَتِهَا كَرُوجِينِ.

يوسُفَ، رَبُّ العَائِلَةِ المَقْدَسَةِ

٩. لَمْ يَكُنِ القَدِيسُ يوسُفَ زَوْجًا مُخْلِصًا وَحَسْبَ، بَلْ أَبًا مُتَفَانِيًا أَيْضًا، وَمُهْتَمًّا بِالأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ وَالمَادِّيَّةِ لِعَائِلَتِهِ. فَكَوْنُهُ حَارِسًا لِلعَائِلَةِ المَقْدَسَةِ، فَقَدْ اهْتَمَّ بِأُمُورِهَا الرُّوحِيَّةِ، وَقَامَ هُوَ وَمَرْيَمُ بِاصْطِحَابِ يَسُوعَ إِلَى الهَيْكَلِ لِلخْتَانِ وَلِتَقْدِيمِ القَرابينِ طَبَقًا لِشَرِيعَةِ مُوسَى. يُخْبِرُنَا إِنْجِيلُ لوقا كَيْفَ كَانَتْ العَائِلَةُ تَتَوَجَّهُ إِلَى الهَيْكَلِ "كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورَشَلِيمَ فِي عِيدِ الفِضْحِ" (لوقا ٢: ٤١). فَهُوَ، بِذَلِكَ، المِثْلُ الصَّالِحُ لِكُلِّ الأَهْلِ الذِّينَ يَسُوعُونَ إِلَى تَنْشِئَةِ أبنائِهِمْ عَلَى دُرُوبِ الإِيمَانِ، بِالرَّغْمِ مِنْ صُعُوبَاتِ الحَيَاةِ

وَصُغُوطَاتِهَا، وَالَّتِي قَدْ تَدْفَعُ الْبَغْضَ إِلَى اعْتِبَارِ الْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ مَسَائِلَ ثَابُوتِيَّةً. إِنَّ مَثَلَ يَوْسُفَ هُوَ مُهِمٌّ جِدًّا، خَاصَّةً لِلآبَاءِ. غَالِبًا مَا تَتَوَلَّى الْأُمُّ مَهْمَةَ الْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ لِلأَوْلَادِ، إِلَّا أَنَّ رُتْبَةَ الْعِمَادِ فِي الْكَنِيسَةِ تُعَلِّمُنَا بِأَنَّ مَهْمَةَ الْأَبِ وَالْأُمِّ، عَلَى السَّوَاءِ، أَنْ يَكُونَا "الْمُعَلِّمِينَ الْأَوَّلِينَ لِلأَوْلَادِ فِي مَسِيرَتِهِمُ الْإِيمَانِيَّةِ". (رتبة العمد ٧٠). فَالْقَدِيسُ يَوْسُفُ يُظْهِرُ لَنَا التَّأثيرَ الْقَوِيَّ لِإِيمَانِ الْأَبِ عَلَى حَيَاةِ الْعَائِلَةِ وَالأَوْلَادِ.

١٠. لَا يُخْبِرُنَا الْإِنْجِيلُ الْمَقْدَسُ عَنْ تَفَاصِيلِ حَيَاةِ الْعَائِلَةِ الْمَقْدَسَةِ فِي النَّاصِرَةِ، وَعَنْ عِلَاقَةِ أَفْرَادِهَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، إِلَّا أَنَّهُ بِالْإِمْكَانِ أَنْ نَسْتَسْتَبِيحَ أُمُورًا مَنْطِقِيَّةً مِنْ خِلَالِ تَصَرُّفَاتِ يَسُوعَ كَشَخْصٍ بِالْعِ. لَمْ تَكُنْ فَقَطُ الطَّبِيعَةُ الْإِلَهِيَّةُ هِيَ الَّتِي تُوجِّهُ أَعْمَالَهُ، بَلْ أَيْضًا تَنْشِئَتُهُ الْإِنْسَانِيَّةُ، الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا مِنْ أَبِيهِ. يُخْبِرُنَا إِنْجِيلُ لُوقَا عَنْ عَوْدَةِ يَسُوعَ مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا "ثُمَّ نَزَلَ مَعَهَا، وَعَادَ إِلَى النَّاصِرَةِ، وَكَانَ طَائِعًا لَهَا، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ تِلْكَ الْأُمُورَ كُلَّهَا فِي قَلْبِهَا؛ وَكَانَ يَسُوعُ يَنْتَسِمِي فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالْحِطْوَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَالتَّاسِ" (لوقا ٢: ٥١-٥٢). كَذَلِكَ اِهْتِمَامُهُ بِالأَوْلَادِ وَالْمَرْضَى وَالْمُسُوسِينَ وَالْمُنْبُوذِينَ، هُوَ ثَمَرَةٌ تَرْبِيَّتِهِ فِي بَيْتِ تَحْيَى فِي النَّاصِرَةِ، حَيْثُ كَانَتْ أُمُّهُ مَرْيَمَ وَخَطِيئَتُهَا يَوْسُفَ مُتَعَاظِفِينَ مَعَ التَّاسِ فِي الْحِوَارِ. إِنَّ اِهْتِمَامَ يَسُوعَ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، الَّذِينَ تَبِعُوهُ، لَا يَعُودُ

فَقَطَّ إِلَى سَبَبِ سَاوِيٍّ، بَلْ لِسَبَبِ أَرْضِيٍّ مِنْ عَائِلَتِهِ، مَعَ مَرْيَمَ وَيُوسُفَ، فِي مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ.

١١. إِنَّ أَوْضَاعَ الْعَدِيدِ مِنْ عَائِلَاتِنَا قَدْ لَا تَسْمُحُ لَنَا بِالْتَّمُّعِ بِالْحَيَاةِ الْمَثَالِيَّةِ، الَّتِي نَحْمُ بِهَا جَمِيعًا. فَالْعَلَاقَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ، فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ، هِيَ دَائِمًا مُهَدَّدَةٌ بِالْإِهْمَالِ بِسَبَبِ ضَعُوفَاتِ الْعَمَلِ. فَأَحْيَانًا كَثِيرَةً، قَدْ لَا تَتَمَكَّنُ الْعَائِلَةُ مِنَ التَّمُّعِ بِالْحَيَاةِ الْمَشْتَرَكَةِ، نَظْرًا لِتَعَدُّرِ اجْتِمَاعِ أَفْرَادِهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَمَا أَنَّ الْحَاجَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةَ تُشَكِّلُ أَيضًا حَاجِرًا بَيْنَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ الْوَاحِدَةِ. إِلَّا أَنَّ الْجَوَّ، الْمُفْعَمَ بِالْحُبِّ وَالْحَنَانِ وَالِاحْتِرَامِ الْمُبَادَلِ، يُسَاعِدُ عَلَى التَّنْشِئَةِ الصَّحِيحَةِ لِلْأَوْلَادِ. فَيُوسُفُ كَانَ نَجَارًا بَسِيطًا إِلَّا أَنَّ بَيْتَ الْعَائِلَةِ الْمَقْدَسَةِ كَانَ مَمْلُوءًا بِالْحُبِّ. إِنَّ التَّجَاحَ الْاِقْتِصَادِيَّ وَالْمَادِّيَّ قَدْ يُوقِرُ فُرْصًا كَبِيرَةً لِلْأَوْلَادِ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَتَرَفَّقُ مَعَ انْعِدَامِ الْجَوِّ الصَّالِحِ فِي الْعَائِلَةِ، أَوْ مَعَ سُوءِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا. لِذَلِكَ، أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ التَّجَاحَ الْمَادِّيَّ هُوَ وَحْدَهُ مَا يُمْهِمُ فِي حَيَاةِ الْعَائِلَةِ. مَاذَا إِذَا عَنِ الْقِيمِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا الْأَوْلَادُ؟

تَمَامًا كَيُوسُفَ، تَقَبَّلُوا الصُّعُوبَاتِ وَالْبَسَاطَةَ

١٢. نَحْنُ نَعْرِفُ، جَمِيعًا، قِصَّةَ وِلَادَةِ يَسُوعَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ، كَمَا جَاءَتْ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا. وَهِيَ قِصَّةٌ رَاسِخَةٌ فِي أَذْهَانِنَا، مُنْذُ الطُّفُولَةِ، مِنْ جِلَالِ

احتفالنا بعيد الميلاد. إلا أنه لا يُمكننا أن ننسى الظروف الصعبة للميلاد الأول في بيت لحم، حيث يُخبرنا الكتاب المقدس "قَوَّلتِ ائبها البكر وممَّطته وأصعبته في المدود، إذ لم يكن لها موضع في المزل" (لوقا: ٢: ٧). يعاني ملايين التاس من فقدان الماوى، في أيامنا هذه. فهناك مخيمات التارحين، التي تُعطينا صورة واضحة عن ظروف ولادة يسوع، ملك الملوك، في بيت لحم، في ظل الفقر وفقدان الماوى المناسب. ومن المؤكد أن مريم ويوسف لم يكونا يعلنان الأهمية التاريخية لهذا الحدث، فقد كان عليهما أن يواجهوا معاً فساوة الظروف وصعوبتها في تلك الليلة المحيدة. حتى في أيامنا هذه، نجد أن الأحداث المهمة لا تحصل عادةً في مناطق الأفياء والمساحات الآمنة للأغنياء، بل بين التاس البسطاء، الذين يتقبلون أوضاعهم بصبر وأناة. لم يتمكن العالم من الفهم الحقيقي المعنى الميلاد إلا بعد مرور سنوات عديدة على هذا الحدث. وهذا ما علمنا أن الأمور العظيمة تحدث من خلال تجارب الحياة البسيطة. دعونا نكتشف ذلك في حياتنا!

يوسف، رجل الصلاة والصمت

١٣. يوسف، الأب المرابي ليسوع، هو القديس العظيم، الصامت. لا نجد كلمة واحدة عن لسانه في الإنجيل، إلا أنه يتحدث معنا من خلال أعماله الشجاعة، كراع للعائلة المقدسة وعمله بصمت وتغان. فقد علمنا أن

الكنيسة ليست مكانًا للصَّحیح الفارغ والكلام المَجْرَد مِنَ المعاني، بل للصلاة والمحبة المكرسة للرب. إنها مكانٌ للإصغاء إلى صوت يسوع، وليس للترداد العقيم للكلام. لقد توجه يسوع إلى تلاميذه، قائلًا: "وجيئنا نُصَلُّون، لا نكثرُ الكلامَ باطلاً، كالأمم، فإنهم يطئون أنه بكثره كلامهم يُستجاب لهم، فلا تتشبهوا بهم. لأنَّ أباكم يعلم ما تحتاجون إليه، قبل أن تسألوه". فهل أكون على خطأ إذا آمنتُ بأنَّ يسوع، من خلال طبيعته البشريَّة، قد تعلم ذلك من يوسف التجار، والذي أمضى معه سنواتٍ عديدةً قبل البدء برسالته الإلهية؟ لقد تعلمنا من يوسف ليس فقط أهمية الإصغاء لكلام الرب، بل أيضًا لمشيئته. فالفردُ على الصمت والإصغاء لصوت الرب، هي ضروريَّة لتحديد المسار الواجب اتِّباعه في خصم تحديات الحياة.

يوسف، نموذج العمال المهاجرين

١٤. أعلن البابا بيوس الثاني عشر القديس يوسف شفيعًا للعاملين. فمنكم من أتى إلى دول الخليج للعمل المؤقت، لذلك فهو يكون لكم شفيعًا في السموات ومثالًا صالحًا. فأنتم كيوسف، تمامًا، معظمكم لا صوت له، بل تقومون بوظيفتكم للحصول على المدخول الضروري لكم ولعائلاتكم. أوليس هذا ما فعله يوسف من أجل رعاية العائلة المقدسة؟ كما أنَّ العديد منكم يواجهون ظروفًا دقيقة، هنا أو في بلدانكم الأصلية، تمامًا كما حصل

لِيُوسَفَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. وَقَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْكُمْ تَقْدِيمَ الْمُسَاعَدَةِ إِلَى أَشْخَاصٍ فِي وَطَنِكُمُ الْأُمِّ، قَدْ تَعَرَّضُوا لِكَوَارِثَ طَبِيعِيَّةٍ، أَوْ وَاجَهُوا أَوْضَاعًا مُخْرِجَةً، مِثْلَ حَمَلٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ، تَامًا كِيُوسَفَ، فَهُوَ أَيْضًا اخْتَبَرَ الشُّعُورَ بِعَدَمِ الْأَمَانِ، وَاضْطَّرَّ لِلهَجْرَةِ إِلَى مِصْرَ مِنْ أَجْلِ عَائِلَتِهِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، لَمْ نَسْمَعْ مِنْهُ أَيَّ تَدَمُّرٍ، بَلْ أَعْمَالًا يُكَلِّلُهَا الْإِيمَانُ الْعَمِيقُ وَالثِّقَةُ بِالرَّبِّ، الَّذِي يُبَشِّرُهُ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ. لَمْ يَصْغُ يُوسَفَ حُطَّطًا طَوِيلَةَ الْأَمَدِ، بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ إِرَادَةَ الرَّبِّ خُطْوَةً بِخُطْوَةٍ. أَفَلَيْسَ هَذَا مَا نُوَاجِهُهُ فِي الْأَوْضَاعِ الْحَالِيَّةِ؟

على مثالِ يوسُفَ، تَعَلَّمْ قُبُولَ الطُّرُوفِ الْغَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ

١٥. إِنَّا نَعِيشُ فِي زَمَنِ تَكَثَّرَ فِيهِ قَالَةُ الْأَمَانِ، وَالطُّرُوفُ الْغَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ. لَقَدْ عَلَّمْنَا الْجَائِحَةَ الْحَالِيَّةَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، بِطَرِيقَةٍ قَاسِيَةٍ، إِلَى حَدِّ مَا كَانَ عَلَيْنَا (وَلَا يَزَالُ) التَّعَايُشُ مَعَ فِكْرَةٍ أَنَّ مُخَطَّطَاتِنَا كُلَّهَا لَيْسَتْ بِثَابِتَةٍ. هُنَا أَيْضًا يُمَكِّنُ لِلْقَدِيسِ يُوسَفَ أَنْ يَكُونَ مِثَالًا لَنَا. كَانَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ يُغَيَّرَ حُطُّهُ. بَدَأَ ذَلِكَ فِي اللَّحْظَةِ الْمَرْجَحَةِ، الَّتِي اكْتَشَفَ فِيهَا أَنَّ حُطَّتَيْتَهُ حُبْلَى، دُونَ أَنْ يَعْلَمَ كَيْفَ تَمَّ ذَلِكَ، فَاحْتَاجَ إِلَى مُسَاعَدَةٍ سَمَاقِيَّةٍ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْحُمِّ، لِيُنْفِخَ هَذَا اللُّغْزَ، وَيَتَصَرَّفَ بِشَكْلِ مُنَاسِبٍ. يُحْضِلُ كَثِيرًا، فِي حَيَاتِنَا الشَّخْصِيَّةِ وَحَيَاةِ عَائِلَاتِنَا، أَنَّ أَحْدَانًا غَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ قَدْ تَعَبَّقُوا أَوْ تَغَيَّرَ كُلُّ مَا تَكُونُ قَدْ حُطَّطْنَا لَهُ. وَقَدْ يَكُونُ هَذَا جَمَلًا مُفَاجِئًا، كَمَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَقَدْ يَكُونُ حَادِثًا أَوْ مَرَضًا أَوْ وَفَاةً أَحَدٍ

أفراد عائلتنا، أو فقدان عملي، أو أشياء أُخرى كثيرة. على الحياة أن تستمر، وإن كنا غالبًا، في بداية الضدمة، لا نعرف كيف. في تلك الأوقات، يحسن أن نتذكر الكلمات التي قيلت ليوسف، ونكفيها مع حالتنا الخاصة: "يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم إلى بيتك، فإن الذي كونَ فيها هو من الروح القدس." (متى ١: ٢٠). إنَّ قبول ما هو غير متوقع وغير مخطط له، قد يساعدنا على أن نرى عمل الروح القدس الغير منطوق.

على مثال يوسف، نحافظُ على الكنوز الروحية، المغطاة لنا

١٦. نحن جميعنا مهاجرون (بل أفضل: "مغتربون")، وهذا يعني أننا أناس من دون جنسية أو صانة لإقامة طويلة الأمد، في البلد الذي نعيش فيه حاليًا. لقد اختبر البعض، بشكل قاسٍ، مدى السرعة التي يمكن فيها للمرء أن يفقد فيها عمله أو بيته أو تأشيرة إقامته. قد أصبح انعدام الأمن هذا أكثر وضوحًا أثناء الجائحة، عندما شعر الكثير من الناس بالعجز في مواجهة واقع صعب. من يسافر بشكل مستمر أو يضطر إلى المغادرة على عجل، لا يمكنه أن يأخذ معه كل ما يملك، عليه أن يترك منزله مع أثاثه، والحديقة مع نباتاتها، والجيران والأصدقاء، يكون مجبرًا على دخول ثقافة أخرى وتعلم لغة أجنبية أو أكثر. إنها عملية تكيف مستمر، يُخاطر فيها الشخص بفقدان هويته الأصلية. هذه بالضبط هي

المشكلة التي كانت وما تزال الأسر المهاجرة تواجهها. وهذا ينطبق أيضًا على الكنيسة. تتعلّق عدّة مُعضلاتٍ في الكنيسة اليوم بتحديد ما يجب على الكنيسة أن تُحافظَ عليه أثناء رحلته حجّها على الأرض، وما يجب أن تتخلّى عنه. إنّ الجواب الأفضّر كان في أمر الملاك ليوسف: "قم وخذ الطفل وأمه واهب...". كان يسوع نفسه يتنقل كواعظٍ متجولٍ في ما نُسّيه "الأراضي المقدّسة". لقد علّم تلاميذه أن يأخذوا معهم أقلّ ما يمكن من الأشياء المادّية، وأكثر ما يمكن من الأمور الروحيّة، وهذا يعني: إعلان ملكوت الله وطرد الأرواح الشريرة ومغفرة الخطايا وشفاء المرضى وتغذيتهم من خبز الحياة، لكي يؤمن الناس بيسوع المسيح. إنّ كلمات الملاك للقديس يوسف هي أيضًا موجهة لكلّ أتباع يسوع: "خذ الطفل وأمه، واهب!" لا تتخلّوا أبدًا عن يسوع المسيح وأمه مريم وما يمثّلاه: كلمة الله والأسرار المقدّسة وإعلان الإيمان بالله الآب والابن والروح القدس. مع مريم نحن مدعوون لكي نتأمّل في كلّ هذه الأمور في قلوبنا (لوقا ٢: ١٩، ٥١)، وتتدرّج خطوةً فخطوةً في تعميق فهمنا لأسرار إيماننا.

١٧. أصدقائي الأعزاء في المسيح، إنّه من المهم أن نقوم بإعادة تحديد حياتنا على ضوء يوسف. يقال لكلّ واحدٍ منّا "خذ الطفل وأمه"، خذ يسوع ومريم في حياتك؛ أعطهما مساحةً وثقةً ليكافئك من أجل الآلام،

الَّتِي عَلَيْكَ أَنْ تَمَّرَ بِهَا: لِأَنَّكَ مُغْتَرِبٌ، شُعُورُكَ بِالوَحِيدَةِ، عَيْشُكَ فِي خَوْفٍ مِنْ فُتْدَانِ عَمَلِكَ، تَعَرُّضُكَ لَخَطَرِ الْجَائِحَةِ. طَلَمَا أَنَّكَ تَأْخُذُ الطِّفْلَ وَأُمَّهُ مَعَكَ، سَتَكُونُ بِخَيْرٍ، حَتَّى فِي أَوْقَاتِ الشَّدَّةِ. كَانَ عَلَى يَوْسُفَ وَمَرْيَمَ أَنْ يَمْرًا بِلِحْظَاتٍ صَعْبَةٍ، مِنَ الْبِشَارَةِ وَحَتَّى الصَّلِيبِ، حَيْثُ وَقَفَتِ مَرْيَمُ كَأَزْمَلَةٍ تَحْتَ الصَّلِيبِ، تُمَثِّلُ يَوْسُفَ أَيْضًا، "حَارِسَ الْفَادِي"، كَمَا يُسَمِّيهِ الْبَابَا الْفَدِيسِ يُوْحَنَّا بُولُسَ الثَّانِي.

أَشْكُرُ جَمِيعَ الَّذِينَ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِبَسَاطَةٍ وَتَوَاضَعٍ، كَالْفَدِيسِ يَوْسُفَ، بَدَلُوا فُصَارَى جَهْدِهِمْ لِتَجْدَةِ مَنْ أَصَابَتْهُمُ الشَّدَّةُ، وَأَعْطَوْهُمْ وَمُضَّةَ رَجَاءٍ فِي وَسَطِ ظِلَامِ الْيَأْسِ. أَظْهَرَ الْكَثِيرُ مِنْ رَعَايَانَا، سِرًّا أَوْ عَلَنًا، تَضَامُنًا مَعَ النَّاسِ الَّذِينَ شَعَرُوا بِالضِّيَاعِ. وَهَذَا يَنْسَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ عَمَلُوا فِي مَجَالِ الرِّعَايَةِ الصَّحِيَّةِ وَتَأْمِينِ الْغِذَاءِ وَالْخِدْمَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَمَا إِلَى هُنَاكَ. لَقَدْ تَحَمَّلُوا "حَرَارَةَ النَّهَارِ" (متى ٢٠: ١٢) - أَوْ بِالْأُخْرَى "حَرَارَةَ الْجَائِحَةِ" - لِيُخَفِّقُوا مِنْ مُعَانَاةٍ وَوَحْدَةٍ الْكَثِيرِينَ.

يُوسُفَ، حَامِي الْحَيَاةِ

١٨. لَقَدْ تَعَلَّمْنَا، فِي فَتْرَةِ الْجَائِحَةِ، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، هَسَاشَةَ نِعْمَةِ الْحَيَاةِ. رُبَّمَا فَقَدَ الْكَثِيرُ مِثْلَ أَفْرَادًا مِنْ عَائِلَتِهِمْ أَوْ أَقَارِبِهِمْ أَوْ أَصْدِقَاءَ لَهُمْ، غَالِبًا فِي غُضُونِ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ. فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ إِمْكَانِيَّةُ

لمرافقَتهم في المرحلة الأخرى من رحلتهم الأرضية، وتوديعهم بطريقة مناسبة. وقد يشعُر الكثيرون بالذنب حيال ذلك، على الرغم من أنهم، ببساطة، لم يكونوا قادرين، أو لم يُسمح لهم بفعل ما يودون القيام به لأولئك الذين أُصيبوا بفيروس Covid-19. كما رأينا، توجَّب على القديس يوسف أيضًا أن يعتني بحياة كانت تحت خطر الموت، عندما كان هيرودس يهجم على جميع الأطفال الذكور في بيت لحم. نحن نعلم جيدًا إلى أي مدى، حتى في أيامنا هذه، تتعرَّض الحياة لخطر المرض أو العنف الخارجي. تذكرنا ملايين حالات الإجهاد حول العالم. فكِّروا في الأطفال في مناطق الحرب، مثل اليمن، في مخيمات التازحين المتراصة الأطراف. تذكرنا كلُّ أولئك الذين تعرَّضوا للاعتداء الجنسي، أو كانوا ضحايا الاتجار بالبشر، والذين غالبًا ما يقتلون إن لم يخضعوا لثجار الرقيق. نجا يسوع من هذا المصير بفضل التحذير من السماء، والعمل الحازم ليوسف. هل نحن مُستعدون لعمل ما في وسعنا لحماية حياة كلِّ إنسانٍ منذ لحظة الحمل وحتى الموت الطبيعي؟ نحن جميعًا مدعوون للمساهمة، من خلال أسلوب حياتنا وعملنا، لترؤخ لثقافة الحياة ضدَّ ثقافة الموت. لنكن يوسف، لا هيرودس!

يوسف، شفيع الميثة الصالحة

١٩. أخيراً، عَلَّمْنَا سَنَةَ الجَائِحَةِ، بِطَرِيقَةٍ وَّاضِحَةٍ جِدًّا، أَنَّنَا جَمِيعًا نَعِيشُ بِالْقُرْبِ مِنَ المَوْتِ. وَرُبَّمَا كُنَّا سَابِقًا أَقَلَّ إِدْرَاكًا لِهَذِهِ الحَقِيقَةِ، وَكَانَتِ الجَائِحَةُ جَرَسَ إِنْذَارٍ ضَّرُورِيٍّ لَنَا. فَجَاءَتْ، أَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَأْخُذُ فِي الحِسَابِ اِحْتِمَالِ أَنْ يُصَابَ، بِشَكْلِ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ، بِفِيروِسٍ قَاتِلٍ. وَرَأَى الكَثِيرُ مِنَّا المَوْتَ يَضْرِبُ، بِقَسْوَةٍ، عَائِلَتَهُ أَوْ مَنطَقَتَهُ. فَالآنَ هُوَ الوَقْتُ المُنَاسِبُ لِإِنْعَاشِ ذَاكِرَتِنَا وَإِخْلَاصِنَا لِلقَدِيسِ يوسُفَ، الَّذِي يَمُّ تَكَرُّمِهِ، عَالِمِيًّا، كَشَفِيعِ المِيتَةِ الصَّالِحَةِ والسَّعِيدَةِ. تُشَجِّعُ الكَنِيسَةَ المَحْتَضِرِينَ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ، عَلَى طَلَبِ صَلَاةِ القَدِيسِ يوسُفَ وَقَتِ المَوْتِ (راجع تزيك الميت ٢١٧، ٢٢٠ أ). إِنَّنَا لَا نَعْرِفُ مَتَى وَلَا كَيْفَ مَاتَ يوسُفَ، وَلَكِنَّ التَّقْوِيَّاتِ الشَّعْبِيَّةَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ تُوِّفِيَ فِي حُضُورِ ابْنِهِ يَسُوعَ. مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نَتَمَتَّاهُ أَكْثَرَ مِنَ الحُصُولِ عَلَى نَفْسِ المَسَاعِدَةِ، وَحُضُورِ يَسُوعَ، عِنْدَمَا نَحِينُ سَاعَتَنَا الأَخِيرَةَ.

أذهبوا إلى يوسف!

٢٠. فِي عِيدِ القَدِيسِ يوسُفَ، نُصَلِّي فِي القُدَّاسِ: "لَقَدْ أَعْطَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ الصَّالِحَ كَرُوحَ لِبَوْلَادَةِ اللَّهِ العَذْرَاءِ، وَعَيَّنْتَهُ خَادِمًا حَكِيمًا وَمُخْلِصًا، مَسْئُولًا عَنِ أُسْرَتِكَ، لِيُعْتَنِيَ، كَالأَبِ، بِابْنِكَ الوَحِيدِ، الَّذِي حِيلَ بِهِ

يُحْلُولُ الرُّوحَ الْقُدُسَ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ". كَانَ عَلَى الْقَدِّيسِ يَوْسُفَ أَنْ يَفْعَلَ بِمَهْمَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ لِلْغَايَةِ، وَعَمَلِيَّةٍ بَحْثَةٍ. وَهَذَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُرْشِدًا لِحَيَاتِنَا الْإِيمَانِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ. إِنَّهُ يُعَلِّمُنَا أَنَّهُ، لِكَيْ نُؤْمِنَ، وَنَهْتَمَّ بِأُمُورِ اللَّهِ، وَنَعْتَنِّي بِأَبْنَيْهِ الْمَتَّجِسِدِ، لَا نَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَاتٍ أَكَادِمِيَّةٍ أَوْ الْكَثِيرِ مِنَ الْجُهُودِ الدِّينِيَّةِ. إِنَّهُ يَتَطَلَّبُ، بِبَسَاطَةٍ، "نَعْمًا" صَامِتَةً لِحُطْطِ اللَّهِ. تَطَلَّبَ مِنْهُ الْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ بِجَانِبِ مَرْيَمَ، وَأَنْ يَعْتَنِيَ بِالابْنِ الَّذِي يَنْمُو، وَالَّذِي قَدْ يُؤَلِّمُ قَلْبَهُ بِسُلُوكِهِ الْغَرِيبِ فِي لِحْطَاتِ مُعَيَّنَةٍ! تَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ أَيْضًا، نِيَابَةً عَنِ زَوْجِهَا، عِنْدَمَا سَأَلَتِ الْإِيمَانَ، الْبَالِغَ مِنَ الْعُمْرِ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا، فِي الْهَيْكَلِ: "يَا بَنِّي، لِمَا صَنَعْتَ بِنَا ذَلِكَ؟ فَأَنَا وَأَبُوكَ نَبَحْتُ عَنْكَ مُتَأَلِّهَيْنِ". تَلَقَّيَا فَفَطَّرَ الرَّدَّ الْمُخْرِجَ بَعْضَ الشَّيْءِ: "وَلِمَ بَحَثْتُمَا عَنِّي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ عِنْدَ أَبِي؟" فَلَمْ يَفْهَمَا مَا قَالَ لَهَا (لوقا ٢: ٤٨-٤٩). أَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَغْزِيَةٌ لَنَا، نَحْنُ الَّذِينَ لَا نَفْهَمُ، فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ، مَا يَفْعَلُهُ يَسُوعُ مَعَنَا؟ يُمَكِّنُ لِلْقَدِّيسِ يَوْسُفَ أَنْ يُعَلِّمَنَا، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، مَا يَعْنِيهِ الْعَيْشُ بِالْقُرْبِ مِنْ سِرِّ اللَّهِ.

إِنَّ مُعَلِّمَةَ الْكَنِيسَةِ، الْقَدِّيسَةَ تِيرِيزَا الْأَفِيلِيَّةَ، وَالَّتِي كَانَتْ تُكْرَمُ الْقَدِّيسَ يَوْسُفَ كَثِيرًا، كَانَتْ تَنْصَحُ رَاهِبَاتِهَا: "أَذْهَبْنَ إِلَى يَوْسُفَ!" (تكوين ٤١: ٥٥). اسْتَحْدَمَ الْعَدِيدُ مِنَ الْقَدِّيسِينَ، فِي الْمَاضِي، هَذِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي كَانَتْ تَعْنِي يَوْسُفَ مِصْرَ (يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ)، فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، عَلَى الْقَدِّيسِ

يوسف، الذي يُساعدنا بتفسي الطريقة في أوقات الشدة. إنه مُرشدٌ
مؤثوقٌ لنا، نحن الراغبين في العيش في حضرة الله، فيما نعتني بشؤوننا
اليومية وعمَلنا وسفرنا ورعايتنا للآخرين. دعونا نذهب جميعاً إلى هذا
"الخادم الحكيم والمخلص"، الذي "أقامه الله على بيت" الكنيسة،
لتشجيعنا وتوجيهنا وحمايتنا في طريق حجاجنا. أيها القديس يوسف، صلّ
لأجلنا!

+ المطران بول هندير، الكبوشي

التائب الرسول لجنوب شبه الجزيرة العربية

المدبر الرسول لشمال شبه الجزيرة العربية

أبو ظبي، ٢٥ شباط/فبراير ٢٠٢١

تكريس كنيسة كاندرايية القديس يوسف في أبو ظبي